

ماهية العنف: مفهومه، أنواعه، مظاهره، وأهم النظريات المفسرة له**What is violence: concept, types, manifestations, and the most important theories explaining it**

عبدي فاطمة*، مخبر التحليل السوسيو-انترولوجي لتنمية الأقاليم، (جامعة الجزائر -02-)،

imene.abdii@gmail.com

2023-01-08	تاريخ القبول	2021-03-10	تاريخ الاستلام
------------	--------------	------------	----------------

ملخص

أضحت ظاهرة العنف من أهم الظواهر الاجتماعية التي يعاني منها العالم اليوم، فلا يكاد يخلو مجتمع منه، سواء أوصف بالتقدم أو لا، فقد أخذت هذه الظاهرة حيزا كبيرا من واقعنا المعاش، وقد لوحظ في السنوات الأخيرة تردد وشيوع كلمة العنف، فأصبحت أكثر الكلمات تداولاً في إعلامنا، وأحاديثنا اليومية العادية كما ارتبطت بكثير من الظواهر: كالعنف الأسري، العنف في الملاعب الإدمان الإرهاب والعنف، العنف السياسي. هذه الظاهرة التي لها كبير الأثر على الفرد والمجتمع، هذا ما جلب اهتمام مختلف الفاعلين الاجتماعيين، سواء أكان هذا في الحقل التربوي، الاجتماعي أو النفسي. ولفحص ما سبق ذكره، وجب علينا التطرق الى مفهوم العنف، وما هي أهم أشكاله، ومظاهره، وكذا النظريات المفسرة له؟

الكلمات المفتاحية: (العنف؛ الظواهر الاجتماعية؛ أشكال العنف؛ النظريات)

Abstract

Violence is one of the most important social phenomena in today's world. Whether it is described as progress or not. This phenomenon has taken a large part of our reality, and it has been noted in recent years that the word "violence" has become frequent and widespread. It became the most circulating word in our media, our ordinary daily conversations, as associated with many phenomena like domestic violence, violence in stadiums, addiction, terrorism, political violence. This phenomenon has a great impact on the individual and society, this has brought the attention of various social actors, whether this is in the field of education, social or psychological. From these facts, we must address the definition of violence, what are its most important forms, manifestations and the theories that explain it?

Keywords : Violence; Social phenomena; Forms of violence; the

مقدمة

تعد ظاهرة العنف من الظواهر الاجتماعية المرضية التي تعاني منها أغلبية دول العالم، بالرغم من وصول الكثير منها الى درجة عالية من التطور والازدهار العلمي والتكنولوجي، إلا أنها تبقى عاجزة عن التصدي لهذه الظاهرة أو على الأقل التقليل منها، فقد أصبحت أحد أهم مشكلات العصر حيث إننا نعيش حالة من الرعب والخوف واللاأمن في حياتنا اليومية.

ومن هذا المنطلق حظيت هذه الظاهرة باهتمام كبير من طرف العديد من الباحثين والمتخصصين، بغية دراستها وإيجاد الحلول لها، وهذا نظرا لخطورتها وارتباطها بالعديد من المتغيرات ذات الصلة بالبناء الاجتماعي للمجتمع.

الإشكالية

لقد أثارت ظاهرة العنف في السنوات الأخيرة اهتمام العديد من الباحثين نظرا للآثار المعنوية والمادية والسلبية التي تخلفها في نفوس الأفراد والجماعات، ومنها التأثير البالغ الذي تحدثه في البناء الاجتماعي مما يسبب تفكك الروابط الاجتماعية وتصعد القيم وظهور انحرافات اجتماعية خطيرة كالجريمة، والسلوك اللااجتماعي، والقلق وعدم الاستقرار النفسي والاجتماعي. ومما يجلب اهتمام المتخصصين في دراسة هذه الظاهرة هو الاتساع الجغرافي والامتداد المعتبر لهذه الظاهرة في العالم؛ لكونها لم تستقر في نطاق جغرافي محدد، بل شملت دولا من العالم الثالث وأخرى من الدول المتقدمة، وهذه الموجة من العنف ماهي إلا نتيجة تفاعل اجتماعي يحمل في مضمونه تناقضات عديدة قد تكون تاريخية أو اجتماعية أو سياسية ... إلا أن الانطلاقة في تناول مثل هذه الظواهر تنطلق أساسا من تحديد مفاهيمها ومحاولة فهمها فهما صحيحا، ومن هنا نطرح التساؤلات التالية:

ما هو مفهوم العنف وماهي أنواعه؟

ما هي أهم الدوافع التي تؤدي إلى العنف؟

ما هي أهم النظريات المفسرة للعنف؟

ويهدف الباحث في علم الاجتماع إلى فهم مختلف جوانب الظاهرة فهما صحيحا، حتى يتمكن من معرفة مختلف مكوناتها ويتسنى له معالجتها بطريقة علمية وفقا لأسس منهجية تسمح له بتحديد الظاهرة والتحقق من آثارها.

تعريف العنف

قبل التطرق إلى تعريف العنف يمكننا تصنيفه إلى مفهومين:

1- **العنف الرسمي أو النظامي:** مصدره السلطة حيث يحق لهذه الأخيرة في ظل الشرعية القانونية استخدام القوة أحيانا لضبط النظام، أو في حال التغييرات المؤسساتية التي تحددها شريطة أن يتم ذلك وفقا لقواعد واضحة ومتفق عليها.

2-العنف الفوضوي

يظهر عندما يكون هناك فقدان للرقابة أو فقدان لوعي أفراد معينين أو في جماعات ضعيفة الاتجاه المجتمعي، في ظل هذا المفهوم يفقد النظام المعياري كل دقته وفعاليته، أو على الأقل جزءا منها وتكف الحقوق والواجبات عن أن تجازى فعليا؛ لأن الناس لم يعودوا يعملون بما هم ملزمون به من شرعية الواجبات الخاضعين لها، أو لأنهم لا يعرفون إلى من يتوجهون للحصول على حقوقهم الخاصة.

والعنف بشكل عام يمثل الحدود الدنيا والعتبة التي لا يصبح الأفراد يشكلون دونها جماعة حقيقية وحتى في داخل جماعة منظمة وهادئة.

ووفقا لهذا التصور يمكن الإبقاء على مفهوم العنف المرتبط بالقوة، ومن ثم تحديده على النحو التالي: "استخدام القوة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون، من شأنه التأثير على إرادة فرد أو على مجموعة من الأفراد"

مفهوم العنف من الناحية اللغوية

عنف، عنف به وعليه عنفا، وعنافة، أخذة بشدة وبقسوة ولامه، وكلمة عنف في اللغة العربية تعني الفرق بالأمر وقلة الرفق به وتبين هذه الكلمة السلوك المتضمن معاني الشدة والقسوة والتوبيخ واللوم (ابن منظور 1975) وكذا الإجبار والإرغام وفرض الأشياء على الشخص دون موافقتهم.

Violen بمعنى الاغتصاب أو هتك العرض والصفة Viol وتشير إلى سمات منها: عنف شديد قاسي وشديد الانفعال والتهيج وغير طبيعي.

أما من الناحية السوسولوجية فهو يعني استخدام الضغط أو القوة استخداما غير مشروع وغير مطابق للقانون والذي من شأنه التأثير على إرادة فرد ما. (K- L BADAWI,1982)

وتنحدر كلمة عنف من الكلمة اللاتينية "VIOLENTIAL" التي تعني السمات الوحشية، إضافة إلى القوة، والفعل هو "فيولار" VIOLAR الذي يعني العمل بخشونة وعنف، إضافة إلى التدنيس والانتهاك والمخالفة وكل هذه الكلمات ترتبط بكلمة "فيس" VIS التي تعني القوة والبأس (منير كرادشة 2009).

إن كلمة فيس تعني الإكراه المادي الواقع على شخص لإجباره على سلوك أو التزام ما، وبعبارة أخرى هو سوء استعمال القوة ويقصد به جملة الأذى والضرر الواقع على السلامة الجسدية للشخص (قتل - ضرب - جرح)

التعريف الاصطلاحي

يعرف العنف على أنه مجموعة من السلوكيات تهدف إلى إلحاق الأذى بالنفس وبالآخر، ويأتي بشكلين إما بدني مثل: الضرب والتشاجر والتدمير وإتلاف الأشياء. أو لفظي مثل: التهديد والفتنة والنكتة اللاذعة، وهو في الأخير يؤدي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى إلحاق الأذى (la rousse1979).

وهناك عدة تعريفات أخرى منها تعريف الدكتور فرج عبد القادر الذي عرفه من خلال السياق النفسي بأنه السلوك المشوب بالقسوة والعدوان والقهر والإكراه وهو عادة سلوك بعيد عن التحضر والتمدين تستثمر فيه الدوافع والطاقت العدوانية استثمارا صريحا بدائيا كالضرب وتقتيل الأفراد والتكسير والتدمير للممتلكات واستخدام القوة لإكراه الخصم وقهره .

أنواع العنف: مظهره وأشكاله

أنواع العنف

لقد قام العلماء بوضع نماذج كثيرة للعنف وذلك تبعا لمستوياته وحسب المصدر والجهة التي تقوم به والهدف منه. يقول جون لوكا في إجابته عن السؤال هل يمكن تسمية العنف؟ " إن العنف له ألف وجه وأن أشكال العنف مثل الأعداد تبدو لا متناهية فهي دائما جديدة ومتجددة " (أحمد زايد 2000) وسنستعرض أهم أنواع العنف في الآتي:

العنف الفردي

هو عنف يقوم به شخص بقصد إيقاع الأذى بغيره من الأفراد أو الجماعات أو الممتلكات وهو النوع الأكثر انتشارا والذي نعيش بعض أنواعه في كل الأماكن بدءا بالوسط الأسري إلى الشارع وفي المدرسة ومكان العمل، وهو يمارس من كل الفئات الاجتماعية بدرجات متفاوتة سواء أكانوا رجالا، أم نساء أم أطفالا أم شيوخا وله أوجه عديدة.

العنف الجماعي

هو صورة من صور العنف المعروفة تقوم به جماعة من الأشخاص لها خصائص مشتركة بهدف إلحاق الأذى بشخص أو بجماعة أخرى من الأفراد أو الممتلكات أو بنظام قائم، أو كما جاء في التقرير العالمي حول العنف والصحة أن العنف الجماعي هو عنف أدواتي تستعمله جماعة من الناس ضد جماعة أخرى من أجل الوصول إلى أهداف سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، ويمكن أن تتخذ عدة أشكال : صراع مسلح ما بين دول ، أو على مستوى داخلي (داخل الدولة) أو اضطهاد أو إبادة جماعية، أو جماعات إرهابية ، أو الجرائم المنظمة أو غيرها من خرق للحقوق الأساسية. والعنف الجماعي عادة ما يكون مخططا له ومزودا بالوسائل التي تؤدي الغرض، ويستعمل هذا النوع من العنف من قبل عصابات إجرامية كالمافيا أو جماعات مضادة للنظام القائم.

عنف موجه نحو الذات

وهنا يكون العنف موجه نحو الذات القائمة بالعنف مثل الإقدام على الانتحار، أو استهلاك المخدرات (لأنه معروف عن المخدرات أنها مادة تدمر الإنسان في عقله وجسمه وماله ... ورغم ذلك يقبل عليها الفاعل؛ لذا تعدّ من وسائل تدمير الذات) أو أي تعذيب آخر مثل الكي بالسيجارة أو الوشم... وهذا النوع من العنف يعبر عن انسحاب الشخص من الواقع المعيش وعدم القدرة على المواجهة والتصدي لمختلف المعوقات الحياتية وهو مؤثر على اليأس وانسداد لكل سبل الأمل، لذا يلجأ الفرد إما لوضع حد لحياته وإما الانغماس في غيبوبة المخدرات والعيش في عالم الخيال ، وإما بطرق أخرى أقل خطورة.

العنف الأسري

هو من أكثر أنواع العنف انتشارا وخطورة للأضرار التي يسببها سواء على مستوى الأسرة نفسها (انهيارها أو تفككها) أو على المجتمع ككل، وهو عنف خاص بأفراد الأسرة، سواء أكان: ما بين الزوجين وبخاصة العنف الموجه ضد الزوجة الذي يعدّ من أكثر أنواع العنف انتشارا في مختلف المجتمعات وحتى في المجتمعات المتطورة. ما بين الإخوة والأخوات، وبخاصة الإخوة ضد الأخوات فنلاحظ في مجتمعاتنا الاعتداءات الكثيرة التي يقوم بها الإخوة الذكور ضد أخواتهن عن طريق فرض السلطة والقوة عليهن وبالأمر والنهي، وفي الغالب يكونون أكثر شدة من الوالدين في ممارسة هذه السلطة على الأخوات وأحيانا على الأم أيضا. أو من قبل الوالدين نحو الأبناء أو من طرف الأبناء نحو الآباء.

- العنف في المدارس

هو عنف يقوم به شباب المدارس والجماعات، بدأ في الانتشار منذ فترة ليست بالقصيرة، وأظهر مدى الخطورة التي يكتسبها والآثار السلبية على المنظومة التربوية وعلى المجتمع. وقد عرفه أحمد زكي بدوي: "أنه كل موجه لإلحاق الضرر بالشخص أو تحطيمه سواء أكان ذلك في جسده أو معنوياته أو ممتلكاته، كالذي يحدث في الوسط المدرسي من طرف التلاميذ"

العنف في الملاعب

هو الآخر أصبح ظاهرة خطيرة يقوم بها الشباب في ملاعب كرة القدم على وجه الخصوص، ولها آثار وخيمة على الرياضة وعلى المجتمع لما يصاحبها من تخريب للممتلكات والاعتداءات على الأشخاص.

وضع العالم جوهان جالتونج Johan Galtung نموذجا نسقيا متعدد الأبعاد للعنف نختصره في : عنف مباشر وفيزيقي وعنف غير مباشر ، عنف ظاهر وعنف خفي (كامن) وهذه الأنواع تتفرع إلى : عنف بنيوي (هيكلي) أو غير مباشر ينشأ عن الظلم الاجتماعي نتيجة عدم العدالة الاجتماعية وعدم التكافؤ في الفرص ، وعنف شخصي وكل منهما يتميز بكونه عنف بدني (مادي) أو معنوي ، بهدف أو من دون هدف ، ومنه فقد يكون العنف عدائيا (عدوانيا) مقابل العنف الدفاعي أو عمديا (مقصودا) في مقابل العنف غير المتعمد، ويوجد عنف داخلي شخصي وعنف بين الأشخاص وعنف بين المجموعات Violence inter -groupe وعنف بين الطبقات، وعنف بين المجتمعات وعنف بين الدول Violence inter - sociétés كما وضع جالتونج نموذجا مركبا لأنماط العنف تضم أربع مجموعات رئيسية هي : العنف الكلاسيكي المباشر ، الفقر والقمع و الاغتراب والأنواع الثلاثة الموالية يرى فيها جالتونج انعكاسا للعنف البنيوي أي الفقر ، والقمع والاغتراب وفيها يركز على العنف السياسي وتتمثل في العنف العمودي المباشر وهو موجه ضد القمة : ويمثل العنف الثوري أو العنف المضاد لعنف مباشر Violence contre violence directe عنف عمودي مباشر موجه نحو الأسفل : عنف ضد الثورة ، عنف الاضطهاد Violence de répression وعنف أفقي ،ويرى جالتونج أن البناء الاقتصادي والاجتماعي والسياسي يقف وراء العنف البنيوي وقد تكون آثاره أكثر تدميرا من القنابل والصواريخ(Mellon Christian Semelin Jacques ,1994) ، ولا يمكن تحليل أسباب العنف البنيوي

إلا من خلال دراسة التركيبة الاجتماعية بصفة عامة ، والبناء الاجتماعي بصفة خاصة والمفاهيم مثل : الفاعل الاجتماعي ، النسق الاجتماعي ، المرتبة الاجتماعية (Francart loup Maitriser,2022) كما نجد أنواعا أخرى من العنف مثل العنف الأداةي Violence instrumental وهو عنف يستعمل كأداة بهدف تحقيق غاية معينة والعنف الاندفاعي Violence impulsive وهو عنف يحدث كرد فعل لمواجهة العدوان أو للبحث عن المتعة.(Jean Marie Domenach , john Galtung,1982)

2- مظاهر العنف

يمكن أن يتخذ العنف أساليب وأشكالا عديدة، ويأتي هذا التنوع نتيجة لطبيعة العنف المعقدة والشكل الذي يتخذ والكيفية التي يطبق بها ودرجة الخطورة التي يصل إليها والجهة المقصودة والهدف منه، وهو (العنف) على مستويات مختلفة يبدأ بالمستوى اللفظي لينتهي بأخطر مستوى والمتمثل في القتل، ويمكن التعرف على أهم أساليبه فيما يلي:

1- **عنف مادي موجه نحو الممتلكات:** هو عنف يهدف إلى إلحاق الضرر (من تهديم وإزالة أو حرق أو سرقة) بالثروة المادية الخاصة بالأفراد أو الجماعات أو بالدولة؛ بهدف إلحاق الأذى بالجهة المعنية بالعنف.

2- **عنف مادي موجه للأشخاص (عنف بدني):** هو العنف الذي يلحق بالأشخاص وتنتج عنه آثار ظاهرية مثل الجروح والخدوش والقتل أو الاختطاف والاعتداء.

3- **عنف جنسي:** يخص الاعتداءات الجنسية مثل الاغتصاب.

4- **استعمال الحرمان والإهمال:** منع أي شيء من ضروريات الحياة مثل الأكل أو الشرب بهدف العقاب مثلا.

5- **العنف المعنوي (النفسي):** هو عنف غير مادي يلحق الضرر بالجوانب الروحية والنفسية للشخص في مشاعره وأحاسيسه عن طريق السب والشتم والقذف أو الاتهام والتخويف ، وقد يمس بسمعة وكرامة وحرمة واعتبار الشخص وأمنه وسكينته وطمأنينته ، فهو عبارة عن ضغط يمارس على الشخص للسيطرة على أفكاره وتصرفاته الاجتماعية والحدّ من حريته كما يضيف بعض الدارسين عنف التقاليد التي يوجد فيها نوع من الإرغام والإكراه حيث تؤدي إلى كبح حرية وطموح البعض لا سيما الشباب الذين يرون بأنها لم تعد تصلح وتسائر عصرهم مما يؤدي في الغالب إلى صراعات بين الآباء والأبناء . والعنف المعنوي قد يلحق أذى بالشخص يفوق الأذى المادي.

6- **العنف الرمزي:** هو عنف معنوي غير مباشر استعمله بورديو Bourdieu pierre وبسورن Passeron انطلاقا من دراسة المدرسة، أسسنا نظريتهما حول العنف الرمزي إذا اعتبرنا المدرسة والأسرة ووسائل الإعلام وكالات (هيئات) للعنف الرمزي في حقيقة الأمر، واعتبرا العملية التربوية عنفا رمزيا ، حيث تعمل على تكريس النظام القائم و المحافظة على بنية العلاقات الطباقية (Bourdieu pierre passeron jean Claude,1970) التي هي في صالح الطبقة الحاكمة المسيطرة في المجتمع ، هذه الأخيرة تعمل من خلال الفعل التربوي على الحفاظ على مكانتها وسيطرتها على الجماعات الأخرى ، باعتبار أن الفعل التربوي هو عملية

لتكريس رمز وثقافة هذه الطبقة، ويقصد بسلطة العنف الرمزي كل سلطة تفرض معاني وتجعلها مشروعة وهي تخفي علاقات القوة التي هي أساس قوتها (Bourdieu p 1972, Esquisse).

3 - أشكال العنف

يمكن تقسيم العنف من حيث الشكل الذي يتخذ إلى ما يلي:

- 1- **عنف عشوائي:** يقوم به فرد أو جماعة دون التخطيط المسبق له، فهو يأتي صدفة، ويقوم بالتالي على الارتجالية والتلقائية ولأسباب غير متوقعة.
 - 2- **عنف منظم:** يقوم على التخطيط والتنظيم الدقيق وله أهداف وغايات، وتحضر له الوسائل والإمكانيات.
 - 3- **عنف مقنن:** يمارس بقوة القانون من قبل الجهات الرسمية للدولة، مثل تطبيق حكم الإعدام، أو عندما تسنّ قوانين جائزة تعسفية تمييزية بين البشر على أساس الدين أو العرق أو الجنس مثل التمييز العنصري الذي طبق في جنوب إفريقيا.
 - 4- **عنف مباشر:** هو عنف يستهدف الضحية بطريقة مباشرة وتكون الضحية هي المقصودة، ويكون الأذى مباشرا من قبل الفاعل، سواء أكان هذا العنف ماديا أم معنويا.
 - 5- **عنف غير مباشر:** أي الأذى الذي يلحق بالضحية لم يكن يستهدفها مثل الشجار الذي ينشب بين الأبوين ويتأثر به الأبناء؛ فالأبوان لم يقصدا إيذاء أبنائهما، لكن الأذى يحصل.
 - 6- **العنف الفكري:** يعتمد على نشر الأفكار المتطرفة ويستهدف على وجه الخصوص الأطفال والشباب.
 - 7- **العنف الإشهاري:** يظهر من خلال الكتابات الاستفزازية وبخاصة على الجدران والأبواب.
 - 8- **العنف السياسي:** ينحصر نطاقه في ميادين علاقة الإنسان بالدولة؛ أي سلب حريته في التعبير عن رأيه السياسي، وعدم السماح له بالمشاركة في صنع القرار، ومنعه من حقه في التصويت خصوصا عندما يكون الحكم دكتاتوريا أو ملكيا أو وراثيا.
- وهو يقسم كذلك إلى عنف مادي يلحق الضرر بالموضوع الذي يمارس عليه العنف في البدن أو في الحقوق أو في المصالح أو في الأمن، والعنف الرمزي الذي يلحق الضرر في الشعور الذاتي بالأمن والطمأنينة والكرامة والاعتبار والتوازن (عبد الإله بالعزیز، 2000).
- وهو العنف الذي تكون دوافعه وأهدافه سياسية، وسواء أكان من طرف دولة أخرى أو اتجاه جماعات أو أطراف داخلية، أو من قبل جماعات أو أحزاب أو جمعيات رسمية أو غير رسمية، وبالتالي يمكن تقسيم العنف السياسي إلى قسمين:

أ- **عنف سياسي داخلي:** وهو الذي يكون محليا داخل حدود أو إقليم الدولة وقد يكون من أعلى إلى أسفل (عنف السلطة أو الدولة) بواسطة أجهزتها (شرطة، درك، جيش...) سواء أكان هذا العنف في إطار قانوني أم قمعي، ويكون تجاه جماعات أو أطراف داخلية، كما قد يكون من الأسفل إلى الأعلى من طرف جماعات أو أحزاب أو جمعيات رسمية أو غير رسمية تجاه السلطة؛ وذلك بهدف إزاحة النظام

القائم وتغييره أو من أجل طلب إصلاحات سياسية، واجتماعية، واقتصادية وغيرها. يرى حسين توفيق أن العنف السياسي قد يمارسه النظام من خلال أجهزة ومؤسسات القهر كالجيش والشرطة وأجهزة الاستخبارات ويعرف في هذه الحالة بالعنف الرسمي الحكومي، والهدف منه ضمان استقرار النظام والحفاظ على الوضع الراهن ، وتقليص حجم القوى المناوئة للنظام وقد يمارس العنف المواطنون أو جماعات معينة منهم ضد النظام وذلك للتأثير على بعض السياسات والقرارات التي تشكل ضررا بمصالح وحقوق هذه الفئات، أو للحصول على مكاسب سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، أو لتغيير النظام السياسي برمته (حسين توفيق، 1988) ، ومن أهم عمليات العنف التي قامت بها الجماعات الشعبية ما حدث في 5 أكتوبر 1988 في الجزائر والتي نفذها الشباب وتلك التي قام بها الشباب الجامعي في فرنسا سنة 1968.

ب- عنف سياسي خارجي : هو العنف الذي يكون خارج نطاق الدولة ، من طرف دولة تجاه دولة أخرى اتجاء جماعات أو أطراف معينين في دولة أخرى ، سواء أكان ذلك تحت غطاء الشرعية الدولية (الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي) كما حدث في العراق ، أو لم يكن كذلك ، وحدد حسين توفيق أساليب العنف السياسي في : التظاهرات ، وأحداث الشغب و التمرد والإضراب والاغتيالات والانقلابات، فضلا عن الأساليب التي تستخدم في حالات العنف السياسي الرسمي كإعلان حالة الطوارئ واستخدام وحدات الجيش للقضاء على حركات التمرد وأحكام الأشغال الشاقة المرتبطة بالقضايا السياسية.

ت- العنف الديني: أي استعمال العنف باسم الدين (أي باسم أي دين سواء أكان سماويا أم وضعيا) مثلا أعمال العنف التي يقوم بها الهندوس ضد المسلمين في الهند، أو الشيعة ضد السنين - والعكس- في العراق وباكستان وأفغانستان، وفي لبنان العنف بين المسلمين والمسيحيين، أو في أيرلندا بين البروتستانت والكاثوليك، أو ما حدث في الجزائر من أعمال عنف باسم الدين وغيره.

ث- العنف الاجتماعي الطبقي : ينشأ هذا النوع من العنف في حالة التفاوت الطبقي الذي ينجم عن سوء توزيع ثروات المجتمع ، فيقسم المجتمع إلى طبقات اجتماعية متميزة بسلوكاتها ومكانتها الاجتماعية وأهدافها ، مما يؤدي إلى صراع بين الطبقات، قد ينتهي إلى أعمال عنف (خاصة حسب النظرية الاشتراكية الماركسية)، وأبرز صور العنف الطبقي تلك التي دعا إليها أنصار الاتجاه الفوضوي مثل ماكونين وكروبتين اللذين وصفا العمل العنيف الذي تقوم به الطبقة العاملة المستغلة ضد الطبقة البرجوازية بالعمل البطولي، ويحرض باكوتين الطبقة العاملة على استعمال العنف، ويعده وسيلة مشروعة للتحرر من الاستغلال و العبودية البرجوازية (عبد الإله بالعزیز، 2000) **ج-العنف الاقتصادي:** يتمثل في الحرمان المادي من وسائل العيش الكريم للأفراد أو الجماعات، وقد يتمثل في استحواذ جهات معينة (أفراد، طبقة اجتماعية) على ثروات المجتمع وخيراته أو عن طريق الحصار أو العقوبات الاقتصادية التي تفرض على المجتمع أو الدولة من، حرمان وتجويع أهلها ويستغل كوسيلة ضغط، كما حدث لبعض الدول مثل الجماهيرية الليبية 1986 والعراق سنة 1992 في عهد صدام حسين وجنوب إفريقيا في عهد الأبرتايد.

4-دوافع العنف

هناك دوافع عديدة تجعل الإنسان عنيفا قد تدخل جميعها أو بعضها ضمنا في العناصر

الآتية :

- الحفاظ على الذات: وهذا في إطار الصراع من أجل البقاء والممتلكات والمعتقد والقيم والمبادئ والوطن والدين أي الحفاظ على حياة الإنسان وشخصيته بمفهومها الواسع.
- المتعة واللذة: ويمكن إرجاع هذا النوع من الدوافع إلى مصادر مرضية عضوية أو نفسية، فالبعض يستمتع بإذلال الناس أو شتمهم أو أخذ مالهم واغتصابهم وحتى قتلهم؛ أي يجد متعة ونشوة عند إلحاق الأذى بالآخرين أو بممتلكاتهم.
- الغيرة والحسد: قد تدفع الغيرة والحسد إلى ارتكاب أفعال عنف من أجل إلحاق الأذى بالأشخاص المعنيين بذلك جسديا أو معنويا (كتشويه السمعة...) أو ممتلكاتهم.

6-الاتجاهات النظرية المفسرة للعنف

يبقى العنف عامة من المظاهر الهمجية التي تهدد العلاقات الإنسانية، والأخطر منها إذا امتد هذا العنف إلى الركيزة الأساسية، نجد أن الآراء تعددت في دراسة العنف بأنواعه، ونظريات العنف لا تبتعد كثيرا عن نظريات علم الإجرام وفيما يلي سنتناول بعض النظريات التي استفاد منها الباحثون في مشكلات العنف.

النظرية البيولوجية

تذهب هذه النظرية إلى أن العنف يعدّ شيئا فطريا، وتؤكد المداخل النظرية على وجود استعداد جيني ومحركات فيزيولوجية تدفع الفرد إلى اتخاذ مواقف تتسم غالبا بالعنف وتفرضه، وتؤكد الدراسات ذات العلاقة بهذا الصدد على وجود علاقة ارتباطية بين بعض الهرمونات الذكرية وبين الميل للعنف. ويشير أصحاب هذا المدخل النظري إلى وجود مركبات عضوية داخل دماغ الذكر ودمه تعمل كمحرضات ودوافع نحو انتهاجه لمواقف عنيفة " رفع ضغط الدم وانقباض القلب، وزيادة ضرباته... إلخ " (إجلال إسماعيل حلمي، 1999)

وقد ساد التفسير البيولوجي لظاهرة العنف الاجتماعي في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين خاصة عند وليام جيمس وكارل لانج، وتشير مداخلاتهم النظرية إلى أن ردود الفعل الانفعالية كالغضب أو التوتر تسبب ردود فعل نوعية؛ لذلك فإن أي عمل عدواني ينتج عن تغير دقات القلب في النفس والدورة الدموية وإفرازات في الغدد الصماء والنخامية والدرقية (منير كرادشة ، 2009) من شأنه أن يحدث ردود فعل محددة كنتيجة للحالة النفسية التي يمر بها الفرد في تلك اللحظة والتي يطلق عليها كيميائى العدوان أو العنف ، كما يعتقد بأن هناك كيميائيات دماغية معينة تساعد وظائفها كما يجب عند الأفراد العنيفين، بحيث يرافقها اختلال في ضبط وتنظيم المشاعر والانفعالات العدوانية وعدم القدرة على التحكم بها .

ويُدعى لمبرون بهذا الصدد - وهو أحد أهم رواد علم اجتماع الجريمة - أن الأشخاص العدوانيين تكون لديهم بالغالب ميول فطرية وخصائص بيولوجية يعدّ وجودها سببا لبروز السلوك العنيف.

البناية الوظيفية

ينظر أصحاب الاتجاه الوظيفي إلى حدوث العنف في الأسرة كحاجة وظيفية وضرورة تقتضيها حاجات النسق الاجتماعية، ويؤكدون بأن هناك عوامل عديدة تعمل على إعادة الاستقرار وإعادة توازن النسق والمسلمة التي تركز عليها هذه النظرية تتمحور حول فكرة تكامل الأجزاء، الالتصاق والتماسك والاعتماد المتبادل بين هذه الأجزاء المختلفة للنسق، وعليه فإن أي خلل أو تغير في جزء من أجزاء النسق من شأنه أن يحدث تغيرات في أجزاء أخرى، وعلى هذا الأساس ينظر الوظيفيون للعنف على أنه يتضمن دلالات هامة في حالة اللاتوازن وعدم الاتساق داخل النسق " فالعنف" إما أن يكون نتاجا لفقدان المعيار، وإما أن يكون نتاجا لفقدان الارتباط بالجماعات الاجتماعية أو نتيجة اللامعيارية، أو فقدان التوازن الذي قد يصيب المجتمع الإنساني أو الجماعة بحيث تتحطم المعايير وتسود الفوضى، فيلجأ الأفراد إلى العنف(إجلال إسماعيل حلمي، 1999).

النظرية الفسيولوجية

تشير الدراسات التي أجراها الباحثون بعلم وظائف الأعضاء إلى أن الجزء المسمى بالجهاز العرفي في المخ LIMIC SYSTEM هو المسؤول عن السلوك العنيف، و توضح النظرية الفسيولوجية وجود علاقة بين العنف وبين مراكز المخ، فالسلوك العنيف لدى مرضى الصرع من أكثر ما يميز الأفراد، و من ثم فإن هؤلاء المرضى أكثر عرضة لنوبات العنف من الأشخاص العاديين، و قد بينت إحدى الدراسات التي اهتمت بفحص عقول القتلة المصابين بالموجدين بالسجون أو مستشفى الأمراض العقلية أن أكثرهم يعانون من رسم مخ شاذ، و هذا ما يؤيد الأساس الفسيولوجي للعنف (أحمد عكاشة 1992)

نظرية التحليل النفسي

انطلاقاً من آراء فرويد التي استقاها من البحوث العيادية أو النظرية، فإن هناك غريزتان أساسيتان هما غريزة الحياة وغريزة الموت، وغريزة الحياة هي منبع الحسية المسؤولة عن كل الروابط الإيجابية مع الآخرين والعلاقات العاطفية والتقارب، وعلى العكس من ذلك فغريزة الموت تهدف إلى التدمير وتؤدي إلى فناء الكائن الحي حين تتوجه إلى ذاته، بينما إذا توجهت إلى الخارج تأخذ شكل العنف، وقد أعطى فرويد الأولوية لغريزة الموت والعدوان تعبيراً عن غريزة التدمير، فالشخص الذي يقابل الآخرين وينزع نحو التدمير يعود بذلك إلى رغبة في الموت قد عافتها غرائز الحياة.

ويمثل هذا التيار من تلاميذ فرويد - ميلاني كلاين، حيث أسهمت بدراساتها في تحليل العنف وديناميته وتفاعله مع نزعة الحب، وترى كلاين أن هذه الغريزة إذا بقيت على حالها، فإنها تهدد حياة الشخص بتدميره من الداخل، وهذا يولد حالة من الإحساس بالاضطهاد، لذا يتسلح بعدة آليات دفاعية منها الإسقاط، حيث تذكر الذات العنف وتسقطه إلى الخارج في موضوع مكروه هو رمز الشر، وبذلك تتهرب من مساوئها، وفي هذا الإسقاط راحة مزدوجة تتمثل في تصريف العدوان وتفريغ الطاقة، وأيضاً إثبات البراءة الذاتية، وذلك ما يحدث في التعصب الديني والسياسي(أحمد عكاشة 1992).

وقد أرجع فرويد العنف إلى الشعور بالذنب ليس بعد الجريمة، وإنما قبلها أي ليس إلى نتائج ممارسة العنف والجريمة وإنما إلى دوافعها، وهكذا يرجع فرويد سلوك العنف إما إلى عجز الأنا عن تكييف

النزاعات الفطرية الغريزية مع مطالب المجتمع وقيمه ومثله ومعاييرها، أو لعجز الذات عن عملية التسامى أو الإغلاء وذلك خلال استبدال النزعات العدوانية والبدنية والشهوانية بالأنشطة المقبولة خلقيا وروحانيا واجتماعيا ودينيا، كما قد تكون الأنا الأعلى عنده ضعيفة، وفي هذه الحال تنطلق الشهوات والميول الغريزية من عقالها حيث تلتمس الإشباع عن طريق سلوك العنف والإجرام(عبد الرحمان العيسوي، 2008).

وترجع الفرويدية الحديثة ممارسة العنف والإجرام إلى الصراعات الداخلية والمشكلات الانفعالية، فالذين تأثروا بنظرية التحليل النفسي يرون أن انحراف الأطفال الصغار إنما يرجع إلى السنوات الأولى من حياتهم، ويعتقدون أن ظاهرة الحرمان من الأم من أبرز التفسيرات السيكولوجية لظاهرة الجنوح لدى الأطفال.

نظرية التعلم الاجتماعي

تهتم هذه النظرية بالسياق النفسي الاجتماعي للإنسان وبالمتغيرات التي أدت إلى استخدامه للعنف والتعبير عن ذاته والتصدي للإعاقات التي تحول دون تحقيق ذاته، ومن أهم هذه الإعاقات الشعور بالفوارق الطبقيّة باللغة التي تعيق تحديد الهدف، فهو يتعدى بالتخريب والتدمير على نواتج هذه الظروف(سيد عبد العال محمد1988) ويشير ألبرت بندورا Bandura إلى نظرية التعلم الاجتماعي (التعلم بالملاحظة) حيث أجرى تجارب استخدم فيها تصميمًا تجريبيًا يتكون من ثلاث مجموعات من الأطفال ، شاهدت المجموعة الأولى نماذج واقعية من أفلام عنف موجهة نحو دمية من البلاستيك، والثانية شاهدت شابا يعاقب دمية لفظا وبدنيا، والثالثة لم تشاهد أية نماذج عدوانية وهذه هي المجموعة الضابطة، ثم تمت ملاحظة سلوك الأطفال اللفظي والحركي بعدها في حجرة الملاحظة لمدة زمنية محددة من خلال المرآة أحادية الاتجاه، وتوصلت النتائج إلى أن تعرض الأطفال للعنف بأشكاله المختلفة جعلهم يقومون بسلوكيات عدوانية بشكل مرتفع من ألعابهم في حجرة الملاحظة كالهجوم على الدمية وذلك بالمقارنة بأطفال المجموعة الضابطة التي لم تتعرض للعنف.

ويؤكد كل من بندورا وهوستون Bandura et Huston أن الأطفال يكتسبون نماذج السلوكيات التي تتسم بالعنف من خلال ملاحظة سلوك العنف للكبار(Berkourits,1993)؛ مما يعني أن الأطفال يتعلمون أعمال العنف عن طريق تقليد سلوك الكبار، بينما تعتقد هورني Horny أن العدوان ينشأ نتيجة حالات القلق الذي يحدث في المرحلة الأولى من حياة الطفل، ويكون نتيجة فقدان الطفل لمشاعر الحب والعطف، فالأطفال الذين لا يشعرون بالعطف والحنان في السنوات الأولى من العمر يميلون إلى الشعور بالعدوان والكرهية نحو والديهم ونحو الآخرين.

نظرية الإحباط / العدوان

قام كل من دولارد وميلر Dollard et Miller بدراسة الإحباط وعلاقاته بظهور العنف أو العدوان لدى الإنسان واعتبروا أن العنف أو العدوان هو استجابة فطرية للإحباط بحيث تزداد شدة العدوان وتقوي حدته كلما زاد الإحباط وتكرر حدوثه.

فإذا منع الفرد من تحقيق هدف ضروري له شعر بالإحباط، وكان العدوان هو رد فعل على مصدر الإحباط سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة(أحمد عكاشة1992)، وعلى هذا الأساس فإن الرغبة في

السلوك العنيف تختلف باختلاف طبيعة الإحباط التي يعاني منها الفرد، وقد قدم تفسيراً يؤدي في معظم الظروف إلى العنف، كل عنف يسبقه موقف محبط، وقد تكونت هذه النظرية من مجموعة دراسات عن تطور الطفل في أثناء نموه النفسي والانفعالي، وتوصلت إلى أن السلوك العدواني يعقب إحساس الطفل بأنه لا يستطيع أن ينال ما يريد.

كذلك تؤثر الجماعة تأثيراً في اكتساب السلوك العنيف عن طريق تقديم النماذج العنيفة للأطفال فيقلدونهم أو عن طريق تعزيز هذا السلوك بمجرد حدوثه.

النظرية الظاهرية (الفيثومينولوجية)

احتلت هذه النظرية مكانة قيمة في دراسة العنف في الفترة الأخيرة ل طرحها موضوع العنف من منظور حديث ثري في معانيه، حيث تنطلق هذه النظرية من دراسة التجربة الذاتية للإنسان في تفاعله و علاقته بالآخرين ، فالعنف يعد بمثابة كارثة للعلاقة مع الآخر تصيب الذات في الوقت نفسه الذي تصيب فيه الآخر ، فالعنف هو أسلوب وطريقة معينة للدخول في العلاقة مع الآخر ، ويشير "إينار " و هو أحد رواد هذه المدرسة إلى أن تأكيد الذات يتم في حالة من الجبروت السحري من خلال إنكار الآخر بواسطة العنف، حيث يتخذ العنف مساره في فعل حركي تسبقه تحولات في ذات المعتدي و تحولات أيضاً في علاقته بالآخر ، وهي تحولات لا يمكن من خلالها الاعتداء على الآخر مباشرة، فليس هناك عنف فجائي كما قد يتصور البعض، حيث ترى العنف مجسداً في إطار صدمة في العلاقة، و هو وليد عملية تغير و تحول بطيء داخليا ، بحيث يقضي على عواطف الحب و المشاركة ليفجر مكانها العنف حراً طليقاً.

نظرية تزايد العنف في مرحلة المراهقة

يشير إيليو وتولان Elliot et Tolan وبلوبر وسلابي Pelpre et Slapy إلى تزايد العنف بصورة لافتة في العقد الثاني من حياة الإنسان أي في أثناء مرحلة المراهقة، ثم يتناقص مرة في بداية العشرينات وبعض الشباب من ذوي السلوكات العنيفة يبدؤون هذا العنف في الطفولة ثم يتصاعد معدل العنف خلال سن المراهقة.

ولكن أكثر من نصف الشباب يبدأ سلوكهم العدواني من منتصف مرحلة المراهقة إلى آخرها، حيث يصاحب النمو والبلوغ تغيرات جسمية وحسية تؤدي إلى تغير علاقات المراهق وتفاعله مع الآخرين، ومن ثم يتبع ذلك الاستقلالية عن الآباء والحاجة إلى تكوين هوية شخصية ومهارات وقيم ومناقصات تمهد له الوصول إلى مجتمع الراشدين (أسامة ظافر كباره، 1996).

كذلك تغير معايير النجاح والقبول بين الراشدين حيث يتطلب الاستقلال من الشاب الصغير أن يجيد التفاوض بشأن القواعد العائلية ودرجة مراقبة الآباء، وهذه العملية تولد صراعا و اغترابا عن الآباء. وفي الوقت ذاته تمتد شبكة العلاقات الاجتماعية بين الشباب والصغار ونظراتهم في علاقات اجتماعية جديدة تتجاوز أهمية العلاقة مع الآباء. ونتيجة لهذه التغيرات تتولد ضغوط كبيرة ومشاعر بالمقاومة والغضب كأسلوب للتعبير عن الاستقلالية وجذب الانتباه وكسب واحترام رفاقهم المناظرين لهم في العمر، كذلك تعويضا عن قصور القدرات ورد فعل لفرص ضائعة في المجتمع.

خاتمة

إن العنف ليس وليد اليوم، بل هو ظاهرة اجتماعية قديمة قدم التاريخ الإنساني، فهو موجود منذ أن وجد الإنسان على سطح الأرض، تناوله العديد من المفكرين، حيث كان لكل منهم رؤيته الخاصة، ومما سبق يتضح لنا جليا محاولتهم لتقديم مفهوم دقيق للعنف، وكذا أهم الظواهر المفسرة له، والتي تساعد على كشف الستار عن هذه الظاهرة، ومحاولة فهمها وإيجاد الحلول المناسبة لها؛ بغية التحكم فيها.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية

1. أحمد زايد، العنف في الحياة اليومية في المجتمع المصري، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية 2000.
2. أحمد عكاشة، الطب النفسي المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط01، 1992
3. أسامة ظافر كبارة، التحليل النفسي للعنف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1996
4. إجلال إسماعيل حلمي، العنف الأسري، دار الضياء للطباعة والنشر، القاهرة 1999
5. ابن منظور، لسان العرب، بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1975
6. حسين توفيق، ظاهرة العنف السياسي في مصر دراسة كمية تحليلية مقارنة، المستقبل العربي العدد 117، الكويت 1988
7. عبد الإله بالعزیز: العنف والديمقراطية ط2 بيروت، لبنان 2000
8. عبد الرحمان العيسوي " دور المواطن في الوقاية من الجريمة والانحراف في المجتمع الإسلامي " مجلة القاهرة للخدمات الاجتماعية، القاهرة، مصر 2008
9. سيد عبد العال محمد " في سيكولوجية الاغتراب " مجلة علم النفس " القاهرة مصر العدد 5
10. منير كرادشة، العنف الأسري " سيكولوجية الرجل العنيف والمرأة العنيفة " عالم الكتاب الحديث، الأردن ط1 2009

ثانياً: المراجع باللغة الأجنبية

11. Bourdieu pierre passeron jean Claude, la reproduction, élément pour une théorie du système d'enseignement les éditions de minuit paris 1970
12. Bourdieu p, Esquisse d'une théorie de la pratique, paris Droz, 1972
13. Berkourits, consequences and control New York Mc grow hill aggression its causes, 1993
14. Francart loup Maitriser la violence, Economica 2 eme 2dition Paris 2002
15. Jean Marie Domenach, john Galtung ...la violence et ses causes UNESCO PUF paris 1982
16. La rousse. Dictionnaire de poche. Librairie la rousse. Paris 1979.
17. Mellon Christian Semelin Jacques La non-violence, que sais-je ? 1éd PUF France 1994
18. K- L BADAWI A Dictionnory of the social science English – french Library Lebanon beyrou1982